علاقة المرجعية الدينية بأدوار مؤسسات العمل الدعوي

اعداد: د رمضان بن بخمة و ط.د ياسين شامخ

جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة (الجزائر)

yassinechamekh322@gmail.com ramdane2909@yahoo.fr

الملخص

تنطلق مشكلة هذا البحث من جدلية مفهوم المرجعية الدينية وارتباطه بدور مؤسسات العمل الدعوي، حيث حفل العالم الإسلامي بمجموعة من المرجعيات الدينية المختلفة بحسب اختلاف وتنوع مذاهبها وأسسها ومبادئها وامتداداتها البيئية والجغرافية، ومن هذا المنطلق نسعى من خلال هذا البحث إلى محاولة تفكيك العلاقة بين مسألة المرجعية الدينية ودور مؤسسات العمل الدعوي؛ وذلك ببيان وتوضيح هذه المسألة وأهميتها وتفسير علاقتها بهذا النوع من المؤسسات وتأثيراتها السلبية والإيجابية، كما نروم من هذا البحث ونهدف إلى تسليط الضوء على أدوار بعض مؤسسات العمل الدعوي البارزة والمتميزة من حيث رصد بعض أنشطتها المختلفة ونفوذها، مع قياس أثر نفوذ المرجعيات الدينية المرتبطة بها ومدى إسهامها في توجيه وتأطير العمل الدعوي، دون أن نغفل الإشارة إلى رؤية هذا النوع من المؤسسات في التخطيط الاستراتيجي للدعوة إلى الله تعالى وتبليغ رسالته إلى العالمين مع إظهار جمال هذا الدين للناس من خلال عمل هذه المؤسسات الدعوية.

الكلمات المفتاحية: المرجعية الدينية – المؤسسات الدعوية – العمل الدعوي

Abstract:
The issue addressed in thisresearch stems from the complex concept of religiousauthority and itsconnection to the roles of da'wah (Islamicmissionarywork) institutions. The Islamic world isrepletewithvariousreligiousauthoritiesthatdifferaccording to their diverse schools of thought, foundations, principles, and environmental and geographical extensions. This researchaims to explore the relationshipbetweenreligiousauthority and the roles of da'wah institutions by clarifying and explainingthis issue, its importance, and interpretingitsrelationship to these institutions alongwithits positive and negative impacts. Additionally, thisresearchaims to highlight the roles of someprominent and distinguishedda'wah institutions by examiningsome of theirdifferentactivities and their influence. It alsomeasures the impact of the religiousauthoritiesassociatedwiththem and their contribution to guiding and framingda'wah efforts. Moreover, itconsiders the strategic planning vision of these institutions in calling to Allah Almighty and conveyingHis message to the world, showcasing the beauty of this religion through the work of theseda'wah institutions.
Keywords: ReligiousAuthority – Da'wah Institutions – Da'wahWork

1- مقدمة

يعد الحديث عن المرجعية في مجمله سردا عن مفاهيم في تراثنا العربي والإسلامي، وسجالا فكريا وفقهيا بين مرجعيات متعددة، سيّما إن علمنا أنها تشكل تجسيدا لمؤسسات دينية مختلفة كما هو الحال في المثنى الشيعي الأصولي الذي يتبنى هذا المصطلح، حيث لا نكاد أن نعثر عليه في المفردات الفقهية التقليدية والاجتهادية لأهل السنّة والجماعة، بيد أنه بدأ في الظهور والاستخدام مؤخرا في الساحة الدينية بشكل غير منهجي و دون ضوابط حقيقية ثابتة، ومهما يكن الأمر فحداثة المصطلح تحيلنا على مفاهيم ووظائف متنوعة ومتداخلة في كثير من الأحيان لها علاقة تشي بأدوار مؤسسات العمل الدعوي في العالم الإسلامي، وبالرغم من محدودية بعض المرجعيات إن لم نقل أغلبها باستثناء الكتاب والسنة

إلاّ أنها باتت وسيلة للرد والتأثير والإرشاد والتوجيه بنسب متفاوتة لعمل المؤسسات الدعوية والإطار

الذي لا يتخطاه معظمها مع محاولة التوفيق في أدوارها بين ثوابت هذه المرجعيات ومتغيراتها.

2- أهمية البحث وأهدافه:

تنبع أهمية البحث في كونه يرصد لنا مجموعة من التجليات في علاقة المؤسسات الدعوية بالمرجعية الدينية من خلال العمل الدعوي التنظيمي والمؤسسي و إستراتيجيتها هذا الصدد، ويمكن إيجاز الأهداف التي سعى البحث إلى بلوغها فيما يلي:

- محاولة تجلية مفهوم المرجعية في حقل البحث العلمي.

- إبراز العلاقة بين المرجعية ودور مؤسسات العمل الدعوي والمساعدة على فهمها.

-التعرف على أبعاد هذه العلاقة، وأهم المجالات و الميادين التي انعكست فيها.

3- إشكالية البحث وتساؤلاته:

يأتي هذا البحث ليناقش ويبحث في إشكالية مفهوم مصطلح المرجعية و العلاقة بين المرجعية الدينية ودور مؤسسات العمل الدعوي وامتداداتها التنظيمية المؤسسية، وتنطلق مشكلة البحث من السؤال الرئيس التالي:

ما علاقة المرجعية الدينية بدور مؤسسات العمل الدعوي؟

وتتفرع عن هذا السؤال المركزي تساؤلات تمثلت في الآتي:

ما المرجعية وما مفهومها ؟

ما هي ملامح العلاقة بين المرجعية الدينية ومؤسسات العمل الدعوي؟

ما هي أهم التحديات التي تواجهها مؤسسات العمل الدعوي لمرجعيتها؟

4- الضبط المفاهيمي:

تكتسي البحوث العلمية مصطلحات تؤطر مفاهيمها، كما تشير إلى واجهاتها ومعانيها التي ينبغي أن تضبط؛ حيث إنّ كثيرا من المصطلحات قد تحتمل غير ظواهرها وترمي إلى معان مختلفة بحسب البيئات والمذاهب والأيديولوجيات والخلفيات الفلسفية، لذا يقتضي منا هذا البحث بيان وتفسير وتوضيح مصطلحاته، وأهم المصطلحات التي تؤطر بحثنا هي:**(المرجعية الدينية – المؤسسات الدعوية – العمل الدعوي):**

و ستطرق إليها على النحو الآتي:

أ- المرجعية الدينية:

المرجعية لغة:

من رَجع يَرجع رجوعا ومرجعا، رجع بمعنى انصرف، وأرجعه عن الشيء صرفه عنه ورده، وأرجعه إليه رده إليه، ومنه قوله تعالى: ثُمّ إلَى رَبّكُم مَرجعُكُم. (الزمر07) أي: مرجعكم ومعادكم[1]، فلفظ المرجعية يرجع إلى الجذر الأصلي اللغوي "رجع"، والمرجعية مصدر صناعي من "مرجع" على وزن "مَفْعِل"، واشتق من الفعل الثلاثي "رَجَعَ يَرْجِعُ ورُجُوعًا ورَجْعِى ومرجعا انصرف الاسم مرجع و الرجيع من الكلام المردود إلى صاحبه أو المكرر[2]".

المرجعية اصطلاحا:

هي الفكرة الجوهرية التي تشكل أساس كل الأفكار في خطاب ما، والركيزة النهائية الثابتة له التي لا يمكن أن تقوم رؤية العالم دونها، والمبدأ الواحد الذي ترد إليه كل الأشياء وتنسب إليه و لا يرد هو أو ينسب إليها، وعادة ما نتحدث عن المرجعية النهائية باعتبار أنها أعلى مستويات التجريد تتجاوز كل شيء و لا يتجاوزها شيء [3].

---

1 محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة،1995، ص 115.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ج3، مادة رجع، ص 1591.

3 عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2002، ص 453 .

وهي أيضا: الجهة الفكرية التي يحتكم إليها النّاس في علم من العلوم[1].

ب- المرجعية الدينية:

تعددت تعريفات المرجعية الدينية في حقل البحث العلمي، بيد أنها لم تكن في معظمها إلا محاولات لم تعطينا تعريفا جامعا مانعا يعتمد عليه، ومن بين هذه التعريفات نجد تعريف عمادالدين الرشيد حيث هي: "الجهة الفكرية التي يحتكم إليها الناس في شؤون دينهم العقدية والفقهية[2] ".

وقد ذكر الدكتور مولود محصول في كتابه المرجعية الدينية الجزائرية وأسئلة المرحلة تعريفا لها يكاد يكون أكثر وضوحا فهي: " **تلك المبادئ والمصادروالأسس الدينية التي يرجع إليها الناس في مجتمع من المجتمعات أو في دولة من الدول لأخذ أحكام دينهم وفهم مسائله واستيضاح قضاياه**[3]" .

التعريف الإجرائي:

هي مجموعة الأطر النظرية و المصادر الدينية شخصية كانت و معنوية يضطر إليها أهلها ويحتكمون بضوابط معينة في تسيير شؤون دينهم حسب ثقافتهم وأعرافهم على كافة مستوياتهم واختلاف مناطق وجودهم وإقامتهم.

ج- تعريف المؤسسات الدعوية

تعريف المؤسسات:

لغة: جمع مؤسَّسَة، مؤنث مؤسس، وهو اسم مفعول من أَسّس يؤسس تأسيسا فهو مؤسس والمفعول مؤسَّس[4]" وضع قاعدة البناء وإنشاء المشروع والمؤسسة منشأة تؤسس لغرض معين(مؤسسة خيرية، مؤسسة دولية[5]...) .

تعريفها اصطلاحا:

تعريف جبران مسعود في معجم الرائد حيث يقول هي: "جمعية أو معهد أو شركة أسست لغاية اجتماعية أو أخلاقية أو خيرية أو علمية أو اقتصادية[6]".

مفهوم المؤسسات الدعوية:

"ونقصد بالمؤسسة الدعوية كل مؤسسة تحقق برامج الدعوة الإسلامية وأنشطتها وتتفق مع أهدافها، وتقوم على أساس الدعوة والنصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتجميع واستيعابهم ليكونا صالحين مصلحين وقد ظهر هذا المفهوم جليا بعد سقوط الخلافة الإسلامية حيث تكفل جيل من المجددين والمصلحين

4عماد الدّين الرشيد، المرجعية دراسة في المفهوم القرآني، نحو القمة للطباعة والنشر، حمص، سورية، ط1، 2005، ص401.

1مولود محصول، المرجعية الدينية الجزائرية وأسئلة المرحلة، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص401.

2 المرجع نفسه، ص 402.

3 أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة أسس(91/1)

4 المعجم العربي الأساس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس 1980، ص ص88-89.

5جبران مسعود، معجم الرائد، حرف الميم، مادة (أ س س)، ص705.

للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية حين اعتذرت وتأخرت الحكومات على القيام بهذا الواجب فظهر مفهوم الحركة الإسلامية ومفهوم الجماعات الإسلامية، وفي الأصل أن دور المؤسسة الدعوية هي التي تقوم بالواجب الدعوي التبليغي غير أنه توسع أداؤها ليشمل الجانب الخيري والسياسي[1]".

د- تعريف العمل الدعوي:

يعرف العمل الدعوي بأنه: "ما يستفرغ الداعية فيه كل ما يملكه من طاقة عضلية وذهنية في تبليغ الدعوة الإسلامية[2]".

ومن المعلوم لدينا في الدراسات الدعوية والدعوة الإسلامية أن العمل الدعوي يقوم على أربعة أركان وأصول أساسية وهي: الداعي (المرسل) – المدعو (جمهور المدعوين) – موضوع الدعوة(الرسالة الدعوية) وسائل الدعوة وأساليبها.

5- إشكالية مفهوم مصطلح المرجعية الدينية:

بداية من البديهي وضوح مفهوم الإسلام كدين:عقيدة وشريعة،وأن الدين عند الله هو الإسلام، لكن تعترض الباحث أثناء التأصيل النظري لمفهوم مصطلح "المرجعية" إشكالية التداخل المصطلحي مع مصطلحين آخرين، هما: "المرجع "و" الإحالة" لعدم دقة ترجمتهما إلى اللغة العربية، فمرة يكون مصطلح " Référent" هو "المرجع" ومرة ثانية هو "الإحالة" ومرة أخرى "المرجعية"، والحال نفسه بالنسبة لمصطلح "Référence"الذي ترجم أيضا بمصطلح "الإشارة "، ومصطلح الإحالة أو ما يعرف أيضا في اللغة الإنجليزيةréférence ، وربما ترجم هذا المصطلح بالإشارة ولا ضير في ذلك من الناحية اللغوية المحضة، بيد أنه قد يسبب مشكلة اصطلاحية ومنهجية، حيث لا تقتصر هذه الإشكالية عند الحد الاصطلاحي فحسب، بل تمتد لتشمل المفهوم أيضا فقد ذهب بعضهم إلى أن "ما ندعوه إحالة يعبر عنه بشكل عام في اللغة الفرنسية.(référence)، وما يوازي مرجع في العربية.

إلا أنه لا ينبغي أن نخلط بين مصطلحي الإحالة والمرجع، حتى وإن ثبت أحيانا استعمال كل منهما للدلالة به على الآخر، يشير مصطلح المرجع إلى موضوع خارج لساني، فاللسانيات لا تهتم بمعالجة المرجع وفحصه، وذلك على خلاف الإحالة التي تمثل جانبا من اهتمامات اللسانيات...بغية تحديد هذه الخصوصيات (خصوصيات التعبيرات) لنمطية علاقتها مع موضوعات العالم، كذلك كون الإحالة "هي خاصية العلامة اللسانية أو عبارة موضوعات العالم" ممثلة في الإحالة على واقع، أما المرجع فهو الواقع الذي أشارت إليه الإحالة"، "و المرجع" معجميا هو "فعل أو وسيلة للتمرجع و التموقع بالقياس إلى شيء آخر" و، كمصطلح لساني هو "دلالة شيء أو تمظهر للعالم المشهود يحيل عليه شكل لساني،أو هو بمعنى أدق:"العنصر الخارجي لشيء من خلال علاقة المرجعية أو الإحالة، "ونظيره في اللغة العربية صيغة اسم المكان للفعل "رجع" لكن مفهوم "المرجع" كاسم مكان، وهو الذي يدل على موضوع وقوع الفعل يتعارض مع مفهوم الإحالة بمعناها الاصطلاحي الذي نستند

1 بدر الدين بن مصطفى زواقة، إدارة المؤسسات الدعوية، دكتوراة دعوة وإعلام، جامعة الحاج لخضر باتنة 2009-2010 ص 16

2حسين مجد خطاب، ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة والمجادلة والحكم على الأخرين، مطبعة الفجر الجديد، مصر، ط15، 2014 ص07.

نحن إليه والذي يركز على فعل الرجوع بدلا من مكان الرجوع[1] " .

أما بخصوص إشكالية مفهوم مصطلح **المرجعية الدينية** بداية نقول :

هل المرجعية المقصود بها مرجعية النصوص أم مرجعية الأشخاص أم مرجعيتهما معا؟

بمعنى الأطر المرجعية المقدسة التي هي مصادر التشريع: الكتاب والسنة والإجماع و القياس أم مرجعية الأشخاص كما هو مطروح في المثنى الشيعي أم مرجعية اجتهادات و فهوم واختيارات أئمة وشيوخ الإسلام كابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة السنة والدين الذين تجاوزوا القنطرة ولا يمكن الخروج عنهم، ونقصد هنا المرجعيات التقليدية الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية بالإضافة إلى الإباضية واختياراتهم الفقهية والعقدية وكذا في القراءات والروايات والتفاسير القرآنية كاختيار الشافعي لقراءة بن كثير، وفي الحقيقة هؤلاء هم مرجعية الجمهور في ذلك "وإذا كان مذهب مالك هو المرجعية في عموم المغرب، فإن الاعتقاد قد كان يؤخذ في عموم المغرب قبل ظهور الأشعري من مذهب مالك أيضا ومما أجمع عليه السلف، ولم يزل من يذهب إلى ذلك بعد ظهور مذهب الأشعري الذي فرضه الموحدون وسار على منوالهم ورثتهم الزيانيون و الحفصيون و المرينيون، على غرار أهل المشرق حين فرض الأيوبيون والمماليك بعدهم مذهب الأشعري في مصر والشام والعراق والحجاز واليمن، تطهيرا للبلاد من مذهب الباطنية من القرامطة والإسماعيلية والخرمية ونحوهم، وكان دائما بالموازاة أئمة أهل الحديث يعتمدون على طريقة الإمام أحمد بن حنبل من غير نكير، ولم يزل في الجزائر هذان المذهبان سائدين إلى يومنا هذا.. وكان المذهب الأشعري في الغالب رسميًّا والمذهب الأثري شعبيًّا، كما كان مذهب أبي حنيفة مذهب الإدارة في زمن الداي، وكان مذهب مالك هو السائد في عموم العلماء والرعيَّة إلى جنب مذهب ابن إباض في الجهة التي فيها أهله. وكذلك في عهد الاستعمار، فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على مذهب الأثريين وكان غيرهم من الموظفين الرسميين في الإمامة والإفتاء على مذهب الأشعريين[2]".

وللدلالة أكثر على هذا المصطلح نطرح سؤالا وهو هل المرجعية المقصود بها أيضا-العقود والعهود والمواثيق والمنظومة الثقافية التي تؤطر عمل المؤسسات الدعوية وتحتكم إلى بنودها وقوانينها وأعرافها حيث إنها تدور وتدندن حول ما تقدم آنفا في إشكالية المفهوم وبالتالي يمكننا القول أن المرجعية الدينية من المصطلحات الواسعة التي يمكن تخريجها باعتبارات ومحددات مختلفة ومتنوعة .

6- دور مؤسسات العمل الدعوي:

تُعد مؤسسات العمل الدعوي الرسمية تقريبا جزء من جهاز الدول أي تتبع أجهزة الدولة من ناحية الإدارة والقوانين والموارد والهياكل والتنظيم، وفي أغلب الأحيان تخضع وتنفذ سياسات وطنية معينة لا تحيد عنها قصد توجيه الثقافة والشؤون الإسلامية بما يلائم ويتوافق مع السياسات والإيديولوجيات المختلفة التي تنهجها الحكومات وعلى رأس ذلك كله وزارات الشؤون الدينية والإسلامية والأوقاف ثم تأتي مؤسسات العمل الدعوي العالمية فالإقليمية ثم المحلية ومن بين هذه المؤسسات الدعوية الكبرى:

1- انظر سلاف بعزيز، التأصيل النظري لمصطلح المرجعية في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، دورية أكاديمية محكمة، تصدر عن كية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي مج7، ع8، ص ص 126 - 127.

1 مراد علي وعمارة، المرجعية الدينية والوطنية، مجلة العصر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية ع13ص 87/86

أ- منظمة التعاون الإسلامي: وقد يكون من الجدير بالذكر هنا أننا حين نتحدث عن منظمة التعاون الإسلامي فإنه يلزمنا التميز بين التسمية السابقة للمنظمة وبين التسمية الحالية، حيث كان تسمى فيوقت سابق منذ النشأة بمنظمة المؤتمر الإسلامي التي هي :"منظمة إقليمية دائمة تمثل الدول الإسلامية التي تجمعها روابط دينية و مصلحية"[1].

وككل المنظمات الدولية والإقليمية فلها ميثاقها ولها أجهزتها الوظيفية ولغاتها المعتمدة.ولما كانت تسمية مؤتمر تشي بشيء من اللبس كانت هذه التسمية في مرحلة ابتدائية، ثم تحولت إلى منظمة التعاون الإسلامي التي هيثاني أكبر منظمة حكومية دولية بعد الأمم المتحدة وتضم في عضويتها سبعا وخمسين(57) دولة عضوا موزعة على أربع قارات، تعتبر المنظمة الصوت الجامع للعالم الإسلام الذي يضمن ويحمي مصالحه في المجالات الاجتماعية و السياسية والاقتصادية ولها مؤسسات تنفذ برامجها حيث أن المقر الرئيسي في جدة في المملكة العربية السعودية[2].

وقد تأسست منظمة المؤتمر الإسلامي (منظمة التعاون الإسلامي حاليا) كمنظمة ذات نشاط سياسي أساسا، إلاّ أنه سرعان ما اتفقت الآراء أن العمل السياسي المشترك في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي لا يمكن أن يكون فعالا إلا إذا ارتكز على قاعدة متينة من العمل والتعاون الفني الواسع النطاق، وينصرف معنى التعاون الفني المشترك إلى التعاون في الميادين غير السياسية أي الميادين الاقتصادية والثقافية وغيرها من المجالات الأخرى، وقد ازداد اهتمام المنظمة بهذه القضايا بصورة مطردة مع نمو المنظمة.

وفي هذا الإطار نص ميثاق منظمة المؤتمر الإسلامي السابق على أن من أهداف المنظمة هو دعم التعاون بين الدول الأعضاء في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ... كما نص الميثاق المعدل على تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري البيني وتحقيق الرفاه الاقتصادي وتعزيز التعاون في المجالات الاجتماعية والثقافية والإعلامية.

ب- الأزهر الشريف والزيتونة: ومن بين مؤسسات العمل الدعوي الكبرى والعريقة نجد**الأزهر الشريف والزيتونة** التي لا علاقة لهما مع السلطة الحاكمة فهي مؤسسات حيادية كانت في وقت سابق لا تخضع للإدارة المباشرة للدولة ثم تغير وضعها نتيجة لظروف وعوامل سياسية واجتماعية مختلفة"، وقد بني الأزهر كقاعدة لنشر مذهب الشيعة الإسماعيلية، لكنه ما لبث، ونتيجة للصيرورة التاريخية والتغيرات السياسية التي حدثت في مصر صار أحد أعمدة المذهب السُني أن يقتصر التدريس في جامعته على المذهب وحده، ب شمل مذاهب إسلامية أخرى مختلفة، أما جامعة الأزهر فهي مؤسسة تعليمية ثقافية علمية مجمع للعلوم الإسلامية والبحوث والدراسات التي تخدم الثقافة والفكر الإسلاميين والتي تقدم زادا معرفيا وروحيا للمسلمين في كل مكان، وهو إلى ذلك كله منتدى لأعلام الدعوة وشيوخ العلم وأقطاب الفكر والدعوة الإسلامية، فمن هيئاته الرئيسية:

- **مجمع البحوث الإسلامية – هيئة كبار العلماء – المجلس الأعلى للأزهر**، بالإضافة إلى جامعة الأزهر التي

1عبد السلام صالح عرفة، المنظمات الدولية والإقليمية، دار الجماهيرية الليبية للنشر والتوزيع،ط1، 1999، ص479.

2 العنوان:الأمانة العامة لمنظمة التعاون الإسلامي ص. ب 172 |، جدة 21411، المملكة العربية السعودية.

و لمزيد من الاطلاع انظر الموقع الرسمي لمنظمة التعاون الإسلامي www.oic.org

تضم أكثر من خمسين كلية وشبكة واسعة من المعاهد الأزهرية ... وللأزهر حضور واسع في عدد كبير من دول العالم في آسيا وإفريقيا وأوروبا، والأمريكيتين وأستراليا، من خلال المئات من المبعوثين من الوعاظ والأئمة والمدرسين الذين ينقلون ثقافة الاعتدال والوسطية إلى العالم، وينشرون التعليم العربي والإسلامي على نطاق واسع، فالأزهر اليوم رمز للدفاع عن مبادئ الشريعة الإسلامية،والفكر الإسلامي المستنير...ويتمثل دور الأزهر السياسي في نشوء القومية المصرية بصفة عامة ومقاومة الاحتلال بصفة خاصة، فكان للأزهر دوره وتأثيره في مختلف الحقب التاريخية التي مرت به[1].

7- التحيات التي تواجهها مؤسسات العمل الدعوي لمرجعياتها:

لا يمكننا الحديث عن المرجعية الدينية، ودور مؤسسات العمل الدعوي دون أن نستحضر التحديات التي تواجه العلاقة التي تربط بينهما و من بين سائر الديانات والمذاهب فإنّ مؤسسات العمل الدعوي السُّنية هي التي واجهت وتُواجه التحديات الأكبر لمرجعيتها من ناحيتين: ناحية فئات وأصناف المجتمعات المدنية التي أنتجتها ظروف الحداثة والعولمة- وثوابت «عودة الدين» الماضية نحو التشدد واستراتيجيات الأسلمة العنيفة في مواجهة المسلمين الآخرين، وكل العالم. وبينما لا تزال سلطات الدول الوطنية تميل للإبقاء على المؤسسات الدينية وتنشيطها مع استبقاء السيطرة عليها؛ فإنّ الجهات الحديثة في المجتمعات تميل لتجاوُزها وعزلها؛ في حين تريد تيارات الأسلمة وعودة الدين إلغاءها والحلول محلَّها بوصفها هي الأكفأ والأكثر أمانةً للدين فيما يرى بعض المراقبين للشأن الدعوي وعمل مؤسساته إلى أن نظرية اللامذهبية الحديثة أفرزت أئمة ورؤوسا من خارج المرجعيات التقليدية لا يتمتعون بعمق الخبرة والتجربة فتصدروا المشهد الدعوي وأدخلوه في منعرجات سياسية خطيرة ومتاهات العنف والتطرف وأثروا فيه سلبا.

إلا أن عوامل عدة أدت في العصر الحديث إلى انهيارِ **المرجعية الدينية/ المذهبية**، وظهورِ شغور لم يكن موجودًا من قبل، لعل أهم هذه العوامل وصول التقليد المذهبي إلى أفق مسدود في التعامل مع المستجدات والمتغيرات القسرية التي آلت إليها المجتمعات الحديثة، فيما ظلت آليات النظر الفقهي هي نفسها التي استقرت لقرون، وما كان من مخرج للفقهاء إلا بتجسير العلاقة بين المذاهب، والخروج من تقليد المذهب الواحد إلى تقليد جملة المذاهب المعتمدة، من خلال الفقه المقارن، والتوفيق والتلفيق، والفقه الانتقائي الذي يستنجد بما يمكن العثور عليه من حلول في هذا المذهب أو ذاك، وهذا أدى إلى توقف تطور المذاهب وتحولها إلى تراث فقهي معزول عن الواقع، لعدم فاعلية الاجتهاد ضمن دائرتها.

فيما أصبح الاجتهاد خارج القنطرة المذهبية عُرضة للتناقض والاضطراب؛ لاستناده إلى فروع تستند إلى أصولٍ مختلفة، وبالتالي لم تتمكن المذاهب من الحفاظ على استمرار تقليدها، ولم يتمكن المعتمدون على مجملها من إيجاد مرجعية بديلة متماسكة، ولم تنته محاولات التجديد إلى إيجاد مرجعية منسجمة بديلة عن التقليد المذهبي، رغم المحاولات الحثيثة على مستوى البحوث وإحياء مباحث بعض العلوم كمقاصد الشريعة،

1 آيا خهشيو، دور الأزهر الشريف ومؤسساته الرئيسية جامعة الدراسات الأجنبية بغواندونغ وادي مجلة وادي النيل للدراسات والبحوثالإنسانية والاجتماعية والتربوية، ص517-518، متاح على الرابط:
https://jwadi.journals.ekb.eg/article_205941_a3d378e1e55530bfd6796932dfe70e83.pdf

أو على مستوى مأسسة العمل الفقهي والاجتهاد الجماعي من خلال المجامع الفقهية أو هيئات العلماء ومجالس الإفتاء."[1]

كما تواجه تحديات الحداثة الفكرية ولإعلامية بشي من الغموض تجاه المرجعيات الدينية وإشكاليةالصدام مع قضايا حقوق الإنسان وحرية المعتقد التي تشكل هاجسا يقض مضاجع كثير من المسؤولين على مؤسسات العمل الدعوي سيما الرسمية، ناهيك عن المفارقات الكثيرة بين مرجعيات الفضاء الشيعي ومرجعيات الفضاء السني ومسألة التقارب بين المذاهب ووحدة الأديان.

8- وسائل الإعلام والاتصال والمرجعيات الجديدة:

شكّلت وسائل الإعلام والاتصال في الآونة الأخيرة شبه مرجعية ثقافية ودينية لا تقل أهميتها عن أهمية المرجعيات الدينية الموروثة خاصة عند متوسطي التعليم ومحدودي الثقافة، مع ما تملكه هذه الوسائل من قوة التأثير والتوجيه لجمهورها، فبينما ظلت مؤسسات العمل الدعوي الرسمية متمسكة بحقها في التعاون مع الدولة و تطبيق ما قاله الماوردي (صون الدين على أعرافه المستقرة) دخلت على خطاها وسائل الإعلام والاتصال كممارس جديد بالتأثير في الشؤون الدينية على غرار التأثير في بقية شؤون المجتمع والدولة، وأضحت بديلا جاهزا ومرجعا دينيا يشبع ويعوض فورا كل تقصير من مؤسسات العمل الدعوي، "وتعد الأثار الدينيةو الفكرية لهذه الوسائل من التحديات التي تواجه مجتمعاتنا، ومن ثم إما أن تنعكس هذه الوسائل على مجتمعاتنا بآثارها الإيجابية فتصبح مجتمعاتنا قادرة على توليد المعرفة التكنولوجية وإنتاجها ونشرها أو تنعكس هذه الوسائل أيضا بآثارها السلبية فتصبح مجتمعاتنا أقرب إلى مجتمعات مشوهة بلا هوية و لاثقافة"[2]

ويظل عوام المسلمين، عند تواصلهم مع المرجعيات الدينية عبر الوسائل الرقمية، على علم بالتفاوت في آراء العلماء وتنوعها. وقد استطاع البعض تطوير مهارات معرفية رقمية، تمكنهم من التمييز بين منصات الإنترنت المُختلفة، واستهداف توجهات دينية محددة. وعلى العموم، يفرض الإنترنت على جميع المسلمين مجموعة جديدة من المسؤوليات. حيث ساهم ذلك في إعادة صياغة الدين باعتباره مسألة اختيار، وإجبار الأفراد على الاختيار بين الآراء المتنافسة. ولا شك أن هذا يشكل عبئًا ومسؤولية في ظل عالم من المعرفة المُتخصصة والتعقيدات الأخلاقية.[3]

9- ملامح العلاقة بين المرجعية الدينية ومؤسسات العمل الدعوي:

أضحت العلاقة العضوية بين المرجعية الدينية بمختلف مستوياتها وأدوار مؤسسات العمل الدعوي تعيش

---

1 عبد الرحمن حللي، إشكالية المرجعية ومأسسة الشأن الديني في الإسلام، مركز نهوض للدراسات والبحوث متاح على الرابط:
https://bit.ly/2OlGq0M

1 محمد علي البطة، وسائل الإعلام الإلكتروني والتواصل الاجتماعي وآثارها الدينية والفكرية ـ دراسة دعويةـ المنصورة جامعة الأزهر الشريف، ص ص1820 – 1821.

2 ألكسندر كايرويو، الفتاوى الرقمية والتحول المُستمر في المرجعية الدينية، مدونات الجزيرة،، متاح على الرابط:
https://www.aljazeera.net/blogs/2019/3/11/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%AA%D8%A7%D9%88%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%82%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D9%85%D8%B1-%D9%81%D9%8A

أزمة متعددة المداخل من ناحية وضعها في الخطاب الديني والفتاوى والبيانات والمراسلات الإدارية وأحاديث الإرشاد العام لاسيما في المناسبات الدينية ذات الشأن المجتمعي

ولذلك فإنه "لا مفر من التنوع والاختلاف في فهم الدين، والمعيار المرجعي للعالِم في استنباط الحكم الشرعي هو الأدلة والقرائن، والمعيار المرجعي للفرد في السلوك الديني والاختيار بين الآراء هو التقوى والضمير الأخلاقي، والمسؤولية الدينية أمام الله مسؤولية فردية.

هذا فيما يخص المرجعية التي تخصُّ الموقف الديني؛ أما ما يخص الجانب التنظيمي للشأن الديني فهو شأنٌ مدني، ولا ينبغي الخلطُ بينه وبين الدين نفسه، والأصل فيه الاستقلال، وفي حال تبعيتها الإدارية للدولة ينبغي أن تضمن القوانينُ استقلالَه[1]عبد الرحمن حللي، **إشكالية المرجعية ومأسسة الشأن الديني في الإسلام، مركز نهوض للدراسات والبحوث ع13 أبريل 2020 الكويت**

10- التوصيات:

- التطلع إلى أنساق جديدة من العلاقات بين المرجعيات الدينية ودور مؤسسات العمل الدعوي لأجل الارتقاء بالوعي الفكري والعقدي وتقديم قراءة صحيحة لفقه الواقع والأولويات والموازنات.

- ضرورة تبني مؤسسات العمل الدعوي للنوابغ والموهوبين والأذكياء وتدعيم نجاحاتهم وتشجيعها بغض الطرف عن مرجعياتهم قصد الارتفاع بالأمة ومكوناتها.

- ضرورة تركيز مؤسسات العمل الدعوي على دورها المحوري في الرد إلى مرجعية الكتاب والسنة عند التنازع والاختلاف.

11- خاتمة و استنتاجات:

نستنتج من خلال ما قد سبق: أنّه يمكننا القول بوجود علاقة ارتباطيه بين المرجعية الدينية ودور مؤسسات العمل الدعوي وأنّ المرجعية تعتبر مكونا من مكونات الثقافة التنظيمية لمؤسسات العمل الدعوي التي تساهم بشكل أو آخر في العلاقة التأثيرية الدالة على دور هذا النوع من المؤسسات في تحقيق الاستقرار و ترقية و تطوير محددات بيئات العمل المنوط بها، وأن اختلاف المرجعيات داخل الأطر المرجعية المقدسة ـ الكتاب والسُنّة ـ قد يعزز من التماسك والإبداع والتنوع في العمل الدعوي مع التنبيه على وجود اختراق داخل بعض المرجعيات الأصيلة من قبل مرجعيات دخيلة تسببت في تشويش دور مؤسسات العمل الدعوي.

12- المصادروالمراجع:

- المعاجم:

- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة،1995.

- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت، ج3، مادة رجع.

1 انظر عبد الرحمن حللي،المرجع السابق، الرابط السابق.

- المعجم العربي الأساس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، لاروس 1980 .

- جبران مسعود، معجم الرائد، دار العالم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1992، حرف الميم، مادة (أ س س)

.

الكتب:

- عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، ط1، القاهرة، 2002 .

- عماد الدّين الرشيد، المرجعية دراسة في المفهوم القرآني، نحو القمة للطباعة والنشر، حمص، سورية، ط1، 2005.

- مولود محصول، المرجعية الدينية الجزائرية وأسئلة المرحلة، أوراق ثقافية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015.

- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، مادة أسس(91/1)

- حسين مجد خطاب، ضوابط العمل الدعوي في مجالات الموعظة والمجادلة والحكم على الأخرين، مطبعة الفجر الجديد، مصر، ط15، 2014 .

- عبد السلام صالح عرفة، المنظمات الدولية والإقليمية، دار الجماهيرية الليبية للنشر والتوزيع، مصراتة، ليبيا، ط1، 1999.

- محمد علي البطة، وسائل الإعلام الإلكتروني والتواصل الاجتماعي وآثارها الدينية والفكرية ـ دراسة دعوية ـ المنصورة جامعة الأزهر الشريف، متاح على الرابط :

https://jfslt.journals.ekb.eg/article_29044_f6d7f0570c9a2670bdd1c96b08e1a9f9.pdf

الرسائل الجامعية:

- بدر الدين بن مصطفى زواقة، إدارة المؤسسات الدعوية محاولة لصياغة نظرية إسلامية في التخطيط والتنظيم والتوجيه والرقابة، دكتوراة في تخصص دعوة وإعلام، جامعة الحاج لخضر باتنة 2009-2010 .

المقالات:

- سلاف بعزيز، التأصيل النظري لمصطلح المرجعية في التراث العربي والدراسات الغربية الحديثة، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، دورية أكاديمية محكمة، تصدر عن كية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي مج7، ع8.

- مراد علي وعمارة، المرجعية الدينية والوطنية، مجلة العصر، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية، ع13.

المو اقع الإلكترونية:

- آيا خهشيو، دور الأزهر الشريف ومؤسساته الرئيسية جامعة الدراسات الأجنبية بغواندونغ وادي مجلة وادي النيل للدراسات والبحوثالإنسانية والاجتماعية والتربوية، ص517-518، متاح على الرابط:

https://jwadi.journals.ekb.eg/article_205941_a3d378e1e55530bfd6796932dfe70e83.pdf

- عبد الرحمن حللي، إشكالية المرجعية ومأسسة الشأن الديني في الإسلام، مركز نهوض للدراسات والبحوث متاح على الرابط:https://bit.ly/2OlGq0M

- ألكسندر كايرويو، الفتاوى الرقمية والتحول المُستمر في المرجعية الدينية، مدونات الجزيرة،، متاح على الرابط:

https://www.aljazeera.net/blogs/2019/3/11/%D8